الحصاد الأحمر

info@darak-egy.com
02 24832669-010 27251915
51 ب شارع النزهة – من امتداد رمسيس – القاهرة.
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.

الحصاد الأحمر

اسم النص الأصلي: red harvest

اسم المؤلف: داشيل هاميت

ترجمة: نرمين نزار

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي: سارة صلاح

رقم الإيداع: 2019/19998

الترقيم الدولي: 978-977-6634-25-1

الطبعة الأولى: 2019

داشيل هاميت

الحصاد الأحمر

رواية

ترجمة

نرمين نزار

÷سـ ٨ ٥ غبغيبحع ممدغظ رثغ

(1)

+عث–ا٧ ٧ث٧تا +هبخث قث؟عكث٧تا +ظثع،تا

أول من سمعته يطلق على برسونفيل اسم بويزونفيل (مدينة السم) هو صديق أحمر الشعر اسمه "هيكي دووي" في حانة بيج شيب في مقاطعة بات، ولكنه كان يطلق على قميصه كلمة فميص فلم ألقِ بالاً إلى ما فعله باسم المدينة إلا أني لاحقًا سمعت رجالاً متمكنين من نطق الحروف يطلقون عليها نفس الاسم. بقيت لا أعطي الأمر أهمية أكثر من كونه مزاحًا بلا معنى يشبه تلاعب اللصوص بحروف الكلمات وتبديلها. بعد عدة سنوات ذهبت إلى برسونفيل وأدركت خطئي.

استخدمت أحد الهواتف في المحطة كي أتصل بجريدة الهارولد وأسأل عن دونالد ويلسون وأخبره أني قد وصلت.

كان لصوته نغمةٌ حاسمة لطيفة عندما قال: "هل تأتي إلى بيتي في العاشرة من هذا المساء؟ إنه في 2101 ماوتنين بوليفارد. خذ سيارة متجهة إلى هوليوود وانزل في شارع لورال وامشِ ناصيتين غربًا."

وعدتُه أن أفعل ثم ركبت حتى فندق جراند وسترن حيث تركت حقائبي وخرجت لأستكشف المدينة.

لم تكن مدينة جميلة. مالَ أغلبُ بُناتها للبهرجة. قد يكونون قد نجحوا في ذلك في البداية ولكن منذ ذلك الوقت تسببت عواميد الصهر التي ترتفع كأكوام من الطوب أمام جبل قاتم إلى الجنوب في صبغ كل شيء بالدخان الأصفر ومساواتهم في القذارة.

النتيجة كانت مدينة قبيحة من أربعين ألف نسمة تتمركز في أخدود قبيح بين جبلين قبيحين وقد تسبب استخراج المعادن في اتساخ كل شيء. انبسطت فوق كل هذا سماء عكرة تبدو وكأنها خرجت من عواميد الصهر.

أول شرطي صادفته كان يحتاج للحلاقة. زي الثاني كان ينقصه زران. الثالث كان يقف في منتصف التقاطع الرئيسي في المدينة - برودواي وشارع يونيون - يوجه المرور بسيجار في ركن فمه. بعد ذلك توقفت عن تفحصهم.

في التاسعة والنصف أخذتُ سيارةً متجهة إلى برودوواي واتبعت التعليمات التي أعطاني إياها دونالد ويلسون. قادتني التعليمات إلى منزلٍ يقع وسط مرجٍ عُشبِيٍّ مُسيَّجٍ على ناصية.

قالت لي الخادمة التي فتحت الباب أن السيد ويلسن ليس بالمنزل. وبينما أنا أشرح لها أن لدي موعدًا معه أتت إلى الباب امرأة شقراء رشيقة عمرها أقل من الثلاثين وترتدي زيًّا من قماش الكريب الأخضر. عندما ابتسمت لم تفقد عيناها الزرقاوان تحجُّرهما. كررت لها ما شرحته.

"زوجي ليس في المنزل الآن" بالكاد يمكن ملاحظة لكنة تمط حروف كلماتها "ولكن إن كان يتوقع مجيئك ففي الأغلب سيعود إلى المنزل قريبًا."

أخذتني إلى غرفة في الطابق العلوي على جانبٍ من المنزل يطل على شارع لوريل. غرفة بنية وحمراء بها الكثير من الكتب. جلسنا على مقاعد جلدية نواجِه بعضنا البعض من زاوية ونواجه مدفئة يحترق بها فحم من الناحية الأخرى وأطلقت تستفسر عن شئوني مع زوجها.

سألتني أولاً: "هل تعيش في برسونفيل؟"

"لا في سان فرانسيسكو"

"ولكن هذه ليست زيارتك الأولى؟"

"نعم"

"حقًّا؟ كيف ترى مدينتنا؟"

"لم أرَ ما يكفي منها كي أعرف" كنت تلك كذبة. لقد رأيت "أتيت فقط بعد الظهيرة."

توقفت عيناها اللامعتان عن التطفل بينما تقول "ستجدها مكانًا كئيبًا" ثم عادت إلى التنقيب مع قولها "أتصور أن جميع مدن استخراج المعادن كذلك. هل أنت مُنشغلٌ بالتنقيب؟"

"ليس الآن.."

نظرت إلى الساعة الموضوعة على الرف وقالت:

"من قلة التقدير أن يأتي بك دونالد إلى هُنَا ثم يدعك تنتظر في مثل هذا الوقت من الليل بعد ساعاتٍ العمل بكثير."

قلت لها: لا بأس فاقترحَتْ: "مع أن الأمر ربما لا يكون متعلِّقًا بالعمل."

لم أقل شيئًا.

ضحكت.. ضحكة قصيرة بها بعض الحدة.

قالت بمرحٍ: "عادة لستُ بكل هذا التطفل، كما لا بُدَّ أنك تعتقد. ولكنك كتومٌ بشكلٍ مُبالَغٍ فيه حتى إني أكاد لا أتمالك فضولي. أنت لست بائعَ كُحليَّات مهرَّبة، أليس كذلك؟ إن دونلد يغيرهم باستمرار."

تركتها تستنتج ما يمكنها استنتاجه من ابتسامتي.

رن جرس الهاتف بالأسفل. مدت السيدة ويلسون قدميها في الخف الأخضر نحو الفحم المحترق وادعت أنها لا تسمع رنة الهاتف. لم أعلم ضرورة ذلك.

بدأت بالكلام "أخشى أنني..." ثم توقفت لتنظر نحو خادمة تقف عند الباب.

قالت الخادمة إن هناك مكالمة للسيدة ويلسون فاستأذنت وتبعت الخادمة إلى الخارج. لم تنزل إلى الطابق الأسفل ولكنها تحدثت من هاتف على مسافة قريبة من سمعي.

سمعت: "معك السيدة ويلسون.. نعم.. ماذا تقول؟.. مَن؟... ألا تستطيع أن ترفع صوتك قليلاً؟.. ماذا؟.. نعم.. نعم.. مَن يتحدث؟... ألو! ألو!"

سمعت صوت اهتزاز الخطاف الذي يُعلَّق منه الهاتف ورنَّ صوت خطواتها عبر البهو -خطوات سريعة-.

أشعلت سيجارة وحدقت فيها حتى سمعتها تهبط السلالم ثم تحركت نحو نافذة ورفعت طرف الستائر لأنظر باتجاه شارع لوريل والجراج الأبيض المربع الذي يقع خلف المنزل في تلك الجهة.

ظهرت فورًا سيدة رشيقة في معطف داكن وقبعة تسرع من البيت إلى الجراج. كانت السيدة ويلسون. قادت السيارة البويك المكشوفة فعُدتُ إلى مقعدي وانتظرت.

مرت ثلاثة أرباع الساعة وعند الحادية عشرة وخمس دقائق أتى صوت صرير مكابح سيارة من الخارج وبعد دقيقتين دخلت السيدة ويلسون إلى الغرفة. كانت قد نزعت عنها القبعة والمعطف وكان وجهها أبيض وعيناها تكادان تكونان سوداوين.

قالت وشفتاها المزمومتان تهتزان: "أنا آسفة بشدة، ولكنك انتظرت كل هذا الوقت بلا طائل. لن يعود زوجي إلى المنزل الليلة."

قلت لها إني سأتصل به في جريدة هارولد بالنهار.

رحلت وأنا أتساءل: لماذا كان إصبع خُفِّها الأيسر الأخضر داكنًا ومبتلًّا بشيءٍ قد يكون دمًا.

***

مشيت نحو براودووي حيث ركبت إحدى العربات وغادرتها على بُعد ثلاث نواصٍ شمال فندقي لأرى ما الذي يفعله جمعٌ من الناس حول مدخل جانبي من مداخل مجلس المدينة.

كان ثلاثون أو أربعون رجلا ونثرا من السيدات يقفون على الرصيف وينظرون إلى باب مكتوب عليه "قسم الشرطة". كان هناك رجال من المناجم والمصاهر لا يزالون بملابس العمل وأولاد بملابس مبهرجة من صالات البلياردو وصالات الرقص. رجال منمقين بوجوه باهتة ومصقولة ورجال بالمظهر الممل للأزواج المحترمين وبعضة نساء على نفس الدرجة من الاحترام والملل وعدد من نساء الليل.

توقفت على طرف هذا التجمع بجوار رجلٍ عريضٍ البنية وقصير في ملابس رمادية مجعدة. كان وجهه يميل إلى الرمادي أيضًا وحتى شفتاه المكتنزتان مع أنه لم يكن أكبر كثيرًا من ثلاثين عامًا. كل ما اعتمد في إكسابه لونًا كان ربطة عنق تقليدية حمراء أزهرت فوق قميصه القطني الرمادي.

سألته: "ما كل هذه الجعجعة؟!"

نظر إليَّ بحرصٍ قبل أن يجاوب كما لو كان يريد أن يتأكد أنه يمرر المعلومات إلى أيدٍ أمينة. كانت عيناه رماديتين بلون قميصه ولكنهما أكثر حدة.

"ذهب دون ويلسون ليجلس إلى يمين الله إن لم يكن الله يمانع في النظر إلى ثقوب الرصاص."

سألته "مَن ضربه بالنار؟"

حك الرجل الرمادي عنقَهُ مِنَ الخلف وقال: "شخصٌ يملك مسدسًا"

أردتُ معلومات وليس خفة دم. كنت سأجرب حظي مع عضو آخر في التجمهر لولا أن ربطة العنق الحمراء أثارت اهتمامي.

" أنا غريب في المدينة. ألقِ بسخريتك عليَّ. هذا هو الهدف من تواجُد الغرباء."

تلا عليَّ بسرعة وهو يلحن كلماته "دونالد ويلسون المحترم ناشر جريدة ذا مورنينج هارولد و جريدة ذا إيفنينج هارولد وجد من قِبَل أشخاص غير معلومين في شارع هريكان منذ قليلٍ مضروبًا بالرصاص وميت جدًّا. هل هذا يحمي مشاعرك من الإهانة؟"

"شكرًا" مددت إصبعي ولمست الطرف المتدلي من ربطة عنقه "هل تعني شيئًا ما؟ أو أنت ترتديها ليس أكثر؟"

"أنا بيل كوينت"

"إنه حقا أنت!" هتفت محاولاً تذكُّر سببَ معرفتي بالاسم "يا إلهي، أنا سعيدٌ بمقابلتك!"

أخرجت حافظة كروتي وعبرت سريعًا على مجموعة المؤهلات التي التقطتها من كل مكانٍ بطريقة أو بأخرى. كانت البطاقة الحمراء هي ما أريده، وكانت تعرفني على أني هنري إف نيل بحَّار ماهر وعضو بارز في اتحاد العمال الصناعيين في العالم. لم يكن هناك أي كلمة صحيحة على البطاقة.

مررت تلك البطاقة إلى بيل كوينت وقرأها بحرصٍ من الوجهين ثم أعادها إلى يدي وتفحصني من قبعتي حتى حذائي بتشكُّك وقال: "إنه لن يموت مرة أخرى. إلى أين تتجه؟"

"أي اتجاه."

مشينا بطول الشارع سويًّا ثم استدرنا عند ناصية بلا هدف حسب معلوماتي.

سألني بشكلٍ عابرٍ: "ما الذي أتى بك إلى هنا إن كنت بحارًا؟"

"من أعطاك تلك الفكرة عني؟"

"البطاقة مثلاً."

قلت: "لدي أخرى تثبت أني أعمل في جمع الأخشاب. إن أردتني أن أصبح عاملَ مناجم فسآتي لك ببطاقة أخرى بهذا المعنى غدًا."

"لن يحدث. أنا أُدير هذه الأمور هنا."

سألته: "وإن أتتك برقية من شيكاجو؟"

"فلتذهب شيكاجو إلى الجحيم! أنا أديرهم هنا" وأشار برأسه نحو باب مطعمٍ وسألني: "هل تشرب؟"

"فقط عندما أحصل على الشراب."

مررت عبر المطعم وصعدت سلمًا نحو غرفة ضيقة في الطابق الثاني ببار طويل وصف من الطاولات. هز بيل كوينت رأسه وقال: "هالو!" لبعض الشباب والبنات على الطاولات والبار وقادني نحو إحدى المقصورات ذات الستائر الخضراء التي تصطف بجوار الحائط.

قضينا الساعتين التاليتين نشرب الويسكي ونتحدث.

كان الرجل الرمادي يرى أن ليس لي حق في البطاقة التي أريتُه إيَّاها أو في الأخرى التي ذكرتُها. لم يكن يظن أني نقابيٌّ جيدٌ وكرئيس اتحاد عُمَّال العالم في برسونفيل كانت يعتبر أنَّ من واجبه أن يصل إلى حقيقتي بدون أن يسمح لنفسه بينما هو يفعل ذلك أن يبوح بما يضمره من أمور راديكالية.

لم أمانع. كنت مهتمًا بشئون برسونفيل ولم يمانع هو أن يناقشني فيها بين محاولاته المتكررة للنبش في شأن امتلاكي لبطاقات حمراء.

الذي استخلصته منه كان التالي:

امتلكَ العجوز إلياهو ويلسون – والد الرجل الذي قُتِلَ تلك الليلة – قلبَ وروح وجلد وأحشاء برسونفيل. كان رئيس ومالك أغلب أسهم مؤسسة برسونفيل للتنقيب عن المعادن وبنك فيرست ناشونال، ومالك مرونينج هارولد وإيفنينج هارولد الجريدتين الوحيدتين في هذه المدينة ومالك جزء على الأقل من كل مشروع آخر له أي أهمية. بالإضافة إلى تلك الممتلكات كان أيضًا يملك عضوًا في مجلس الشيوخ وبعض ممثلين

في مجلس النواب والمحافظ والعمدة وأغلب المجلس التشريعي المحلي. كان إلياهو وليسون هو برسونفيل وكاد أن يكون هو الولاية بأكملها.

في الماضي، في زمن الحرب لجأ اتحاد عمال العالم – الذي كان في كامل ازدهاره في الغرب- إلى طلب العون من مؤسسة برسونفيل للتنقيب عن المعادن. لم تكن المساعدة نوعًا من التدليل تحديدًا. لقد استخدموا قوَّتَهم الجديدة في المطالبة بالأشياء التي يرغبون فيها. أعطاهم إلياهو العجوز ما أعطاه لهم وقضى وقته في الانتظار.

عام 1921 أتى الوقت الذي ينتظره. كانت الأعمال في حالة سيئة. لم يهتم إلياهو العجوز ما إن كان سيوقف العمل لفترة أم لأ. مزق الاتفاق الذي عقده مع رجاله وبدأ في الدفع بهم نحو أحوالهم كما كانت في فترة ما قبل الحرب.

بالطبع صرخ مساعدوه في طلب المساعدة. أرسل اتحاد عمال العالم في شيكاجو بيل كوينت ليساعدهم في التحرك. كان ضد الاعتصام أو الإضراب الجماعي ونصح بالأسلوب القديم في إثارة المشاكل التخريبية. البقاء في العمل مع تعطيل الأمور من الداخل. ولكن هذا لم يشكِّل نشاطًا كافيًا لعمال برسونفيل. كانوا يريدون وضع نفسهم على الخريطة وصنع التاريخ العمالي فأضربوا.

استمر الإضراب لثمانية شهور ونزف الطرفان بما يكفي. كان على النقابيين أن ينزفوا فعليًّا. استأجر إلياهو العجوز مسلَّحين ومتخصصين في كسر الإضرابات وحرس الولاية بل وقطاعات من الجيش النظامي لفعل ذلك. بعد تحطيم آخر رأس وكسر آخر ضلع في العمال المنظمين في برسونفيل استخدم المفرقعات.

قال بيل كوينت إن إلياهو العجوز لم يقرأ التاريخ الإيطالي. لقد ربح الإضراب، ولكنه خسر قبضته على المدينة والولاية. كي يهزم عمال المناجم، كان عليه أن يسمح لبلطجيته المأجورين بالانطلاق بلا رابط في المدينة. عندما توقف القتال لم يستطع أن يتخلص منهم. لقد أعطاهم مدينتَه ولم يكن قويًّا بما يكفيه لانتزاعها منهم. راقت لهم برسونفيل فاستولوا عليها. لقد ربحوا له الإضراب وغنيتمهم كانت المدينة. لم يكن

يستطيع أن ينفصل عنهم علنًا؛ فقد كانوا يملكون الكثير ضده. لقد كان مسؤولًا عن كل ما فعلوه خلال الإضراب.

أصابتني بعضُ الليونة أنا وبيل كوينت عندما وصلنا إلى هذه النقطة. أفرغ كأسَه مرة أخرى وأبعد شعره عن عينيه وأخبرني بآخر التطورات:

"أقواهم الآن في الأغلب "بيت الفنلندي". ما نشربه هنا هو من أعماله ثم لدينا "لو يارد". لديه متجر رهونات في شارع باركر ويعمل في الكفالات ويتولى معظم عمل الأخوية الشائك كما قيل لي وهو قريب جدًّا من "نونان" رئيس الشرطة. هذا الولد "ماكس ثالر" – ويسبر- لديه الكثير من الأصدقاء أيضًا. شخص ضئيل ورشيق عنده مشكلة ما في حنجرته. لا يستطيع الكلام. مقامر. إن هؤلاء الثلاثة بالإضافة إلى نونان يساعدون إلياهو في إدارة المدينة – يساعدونه أكثر مما يرغب. ولكن عليه أن يتعاون وإلا..."

سألته: "هذا الشخص الذي قُضي عليه الليلة – ابن إلياهو – ماذا كان موقفه؟"

"حيث وضعه بابا. وهو الآن حيث وضعه بابا"

"هل تقصد أن الرجل العجوز تسبَّب في..."

"ربما ولكن هذا ليس تخميني. لقد عاد السيد إلى وطنه وبدأ في إدارة أوراق الرجل العجوز. لم يكن من طبع ذلك الشيطان العجوز أن يدع أي شخص ينتزع منه شيئًا بدون أن يرد بضربة حتى وإن كان يقترب من القبر. ولكن كان عليه أن يتصرف بحرص مع هؤلاء الأشخاص. أعاد الفتى وزوجته الفرنسية من باريس إلى الوطن واستخدمه كدمية ماريونيت – يا لها من خدعة أبوية لطيفة. بدأ "دون" في حملة إصلاحية في الجرائد. استبعاد أخوية الجريمة والفساد – مما يعني إزاحة بيت ولو وويسبر إن استدعى الأمر. فهمت؟ الرجل العجوز يستخدم الفتى كي يزعزعهم. تخميني أنهم ملوا من الزعزعة."

قلت: "يبدو أن هناك بعض الأخطاء في هذا التخمين."

"هناك الكثير من الأشياء الخاطئة في هذه البلدة الرثة. هل أخذت كفايتك من لون الحائط؟"

قلت إني قد اكتفيت. نزلنا إلى الشارع. قال لي بيل كوينت إنه يعيش في فندق ماينرز في شارع فورست. طريقه إلى المنزل كان يمر بفندقي فمشينا سويًا. وقف على الرصيف أمام فندقي رجل لحيم له سمت المخبرين يتحدث مع شخص يركب سيارة ستوتز فارهة.

أخبرني بيل كوينت: "هذا هو ويسبر داخل السيارة."

نظرت متجاوزًا الرجل اللحيم ورأيت جانب وجه ثالر. كان شابًا أسمر وضئيل البنية بملامح جميلة ومنمقة كأنها حفرت بآلة دقيقة.

قلت: "شكله لطيف."

"بالفعل" وافقني الرجل الرمادي "كما هو الحال مع شكل إصبع الديناميت."